في أول الكلام أن يعلمنا كذا لم يسبقكم أحد قبلكم ولم يدرككم أحد بعدكم ثم ثبت هذا القول
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجب لأنه معصوم في قوله وهو معصوم في فعله فلا جل بعد
يكون محمولا عليه فلم ينبغ أن ينقض أول الكلام آخره ولم يجز أن ينقلب لأنه إخبار
عن شيء. ولا يجوز الرجوع عنه فلا فضل للأغنياء ما أوجبه الفقراء. وقد أقر الفقراء قول
الرسول صلى الله عليه وسلم لنظرهم إلى من يرى للأغنياء عليهم في القول ثم رجعوا إليه
يستفتون منه ما أخبر به فقال لا فضيلة لهم إلا أن الذي قلت لكم كما قلت هو فضل الله
لكن يؤتيه من يشاء وأنتم ممن شاء أن يؤتيه فضله فصح بذلك هذا ودل ذلك وفيهم من
يقول قول الرسول صلى الله عليه وسلم الأول فكان قوله الثاني بالآخر هو الجواب للقول
الأول ولم يناقض الأول بالآخر كما وفيه دليل ما قلنا مكشوف في الحديث المعنيين
الذي رويناه عن زيد بن أسلم عن أنس بن مالك قال بعث الفقراء رسولا إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أنا رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن
جئتك من عندهم جئت من عند قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
الأغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه وإذا مرضوا
بعثوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عني الفقراء أن
لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصلة واحدة فإن في
الجنة غرفا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها
إلا نبي فقير أو شهيد فقير أو مؤمن فقير والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء
بنصف يوم وهو خمسمائة عام والثالثة إذا قال الغني سبحان الله والحمد
لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني بالفقير وإن أنفق
فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم فقالوا رضينا رضينا فهذا
يدل على صحة ما قلناه وقد روينا أيضا معنى هذا الخبر في الخبر الذي رويناه عن ابن
إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير قالوا موسر من المال يعطي حق الله تعالى
في نفسه وماله قال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال مؤمن فقير
يعطي جهده فوقف القوم مع علم العقل بذلك مع علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى علم اليقين وكذلك من فضل حال الفقر على حال الغنى فإنه يثبت في العلم بدليل
العقل والنقل ظاهرا والآخرة والحقيقة يعني اليقين وهذا ما في تفضيل حال الفقر
من فضل الغنى بعد يغير على السنة إن كان عالما فأحسن حاله الجهل بالأكدار وفي
الخبر لا خير منه إلا منة يقرأ هذا وأسرع ينتفع في الجنة ضعيفا أو هذا وقال لبلال
الق الله تعالى فقيرا ولا تلقه غنيا قال وكيف لي بذلك قال إذا سئلت فلا تمنع وإذا
أعطيت فلا تخبأ فأشبه الفقر في الأحوال كاليقين في الإيمان كما قال لابن عمر اعمل لله

عليه

بالرضى

بالرضى في اليقين فإن لم يكن فإن في الصبر خيرا كثيرا ثم بعد إلى اليقين لفضله كما
رجع بلالا إلى الفقر لسبقه فلم يكن صلى الله عليه وسلم يرضى لبلال إلا ما رضي لنفسه
كذلك رويناه في حديث عطاء عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا ولم يكن ليأمر بلالا بأدنى الحالين
في قول الله تعالى ويعطي الحالين يبرئ ابن عمر إلى أخفض المقامين لقوله اعمل لله
تعالى بالرضا في اليقين فصار الفقر حال المؤمن لأنه يكتسب الآخرة وصار الشكر
في الغنى حال المؤمن لأنه يكتسب الدنيا ببعض الفقر إذا عمل على الفقير الشاكر
لفضل المؤمن المشاهد على المؤمن المجاهد وكذلك جاء الخبر الآخر المشتهر الذي دعا
فيه صلى الله عليه وسلم لنفسه أن يحييه الله تعالى مسكينا ويتوفاه مسكينا ويحشره
في زمرة المساكين كان ذلك لما نفضيل للفقير ونتبين في الفقراء مع قوله صلى الله عليه وسلم
يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وروينا عن عيسى عليه
السلام أنه قال إني لأحب المسكنة وأبغض الغنى وإن في المال داء كثيرا قيل
يا روح الله وإن كان يكتسبه من حلال قال يشغله كسبه عن ذكر الله عز وجل
وقال وهب بن منبه لابن عباس إنا نجد في التوراة أن الفقير الصالح خير من
الغني الصالح فقال ابن عباس أحق ما علمت أنه لا شيء أحب إلى الله تعالى من
الفقير إذا كان صالحا وقيل كان أحب شيء إلى عيسى صلى الله عليه وسلم أن
يقال له يا مسكين وكان يقول من ذم الغنى أن العبد يعصي ليستغني ولا يعصي
ليفتقر وقد ذكر لنا بعض الحكماء أنشأ في كلام منظوم

يا غاية الدهر تنقضي الغنى　　　عيبا الغنى اعلم ثم تقنع
إنه نقص لتنال الغنى　　　ولسنا نعصي الله في نقنع

وروينا في حديث عطاء عن أبي سعيد الخدري يا أيها الناس
لا يحملنكم العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حله فإني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني
في زمرة المساكين وقال لقمان لابنه يا بني إن من أعون الأخلاق على صلاح
الدين زهدا في الدنيا من يزهد في الدنيا يرغب فيما عند الله تعالى ومن يرغب فيما عند
الله تعالى يعمل له ومن يعمل لله تعالى يأجره الله وقال الحواريون يا روح الله
نحن نصلي كما تصلي ونصوم كما تصوم ونذكر الله كما أمرتنا ولا نقدر نمشي على الماء
كما تمشي أنت فقال أخبروني كيف حبكم للدنيا فقالوا إنا نحبها فقال إن حبها
يفسد الدين لكنها عندي بمنزلة الحجر والمدر وفي خبر آخر أنه رفع حجرا فقال
أيما أحب إليكم هذا أو الدينار والدرهم فقالوا الدينار فقال فإنهما عندي سواء
ويقال إن من صح زهده في الدنيا حتى يستوي عنده الذهب والحجر مشى على الماء وقد